الادغام

بين ابن مجاهد وابن جني

بلال جلوب جاسم

كلية الاعلام / الجامعة العراقية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين، أما بعد:

لقد كان لعلماء اللغة والقراء القدماء دور كبير في خدمة لغتنا العظيمة لغة القرآن لغة أهل الجنة منذ القرون الأولى، وكان لهم السبق في تحديد وتأصيل كثير من الحقائق العلمية وبخاصة في علم الأصوات، وأنَّ كلَّ من جاء بعدهم من المحدثين عرباً كانوا أم مستشرقين لم يأتِ بشيء جديد إلا بنزر يسير نتيجة لاستخدام الآلات والأجهزة الحديثة التي ساعدت على تحديد مخارج الحروف وبيان عملية انتقال الصوت.

وسنبين في هذا البحث جهود عالمين هما ابن جني (ت392هـ) من علماء اللغة الذي أغنى المكتبة العربية بكتب تُعد مراجع رئيسة في مجالات اللغة كافة.

أما الآخر فهو ابن مجاهد من القراء (ت324هـ) الذي اشتهرت عنه عبارة أنه "شيخ الصنعة وأول من سبع السبعة".

وقد تحتم أن يكون تقسيم البحث (الإدغام بين ابن جني وابن مجاهد) على مقدمة وتمهيد ومبحثين، فكان التمهيد لتعريف الإدغام لغة واصطلاحاً وبيان علة الإدغام وجهود علماء اللغة والقراء، أما المبحث الأول فقد كان للإدغام عند ابن جني، وأما المبحث الثاني فقد كان للإدغام عند ابن مجاهد، ثم الخاتمة التي ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، ثم قائمة المراجع والمصادر.

فإن أصبت فمن الله التوفيق، وإن أخطأت فعذري أني حاولت أن أضع قدمي على بداية الطريق الصحيح الذي سار عليه علماؤنا الأفذاذ وعليّ أنهل من منهلهم ما يجعلني قادراً على خدمة لغتنا العظيمة.

التمهيد

الإدغام عند أهل اللغة وعلماء التجويد

الإدغام لغةً:

لقد عرَّفت المعاجم اللغوية الإدغام تحت مادة (دغم).

فعرفه الخليل بقوله : " والدَّغْمَةُ: اسم من إِدغَامِكَ حَرْفاً في حرفٍ. وأَدْغَمْتُ الفرس اللجام: أَدْخَلْتُه في فيه"[1].

وعرفه ابن دريد في (جمهرة اللغة) بقوله: " أَدغمتُ اللِّجام فِي فِي الْفرس، إِذا أدخلته فِيهِ، وَمِنْه إدغام الْحُرُوف بعضها في بعض "[2].

وعرفه الأزهري في (تهذيب اللغة) : " الإدغامُ: إدخالُ اللِّجامِ في أفواهِ الدوابّ.

وَقَالَ سَاعِدَة بن جُؤَيَّة :

بِمُقْرِباتٍ بِأَيْدِيهِم أَعِنَّتُهَا خُوصٍ إذا فزعُوا أُدْغِمْنَ باللُّجمِ

قلت: وإدغامُ الْحَرْفِ في الحرفِ مأخوذٌ من هَذَا"[3].

وعرفه ابن منظور : إدخال حَرْفٍ فِي حَرْفٍ. يُقَالُ: أَدْغَمْت الحَرْفَ وَادَّغَمْته، عَلَى افْتَعَلْتُه. والإِدْغَامُ: إدخال اللِّجَامِ في أفواهِ الدَّوابّ ، وأَدْغَمَ الفرسَ اللجامَ: أدخله في فِيهِ، وأَدْغَمَ اللِّجَامَ في فَمِهِ كَذَلِكَ "[4].

قال بعضهم، ومنه اشتقاق الإدغام في الحروف ، وقيل اشتقاق هذا من إدغام الحروف.

---

[1] كتاب العين:395/4 .
[2] جمهرة اللغة: 670/2 .
[3] تهذيب اللغة: 95/8 .
[4] لسان العرب : 203/12 .

ونلاحظ من التعريفات السابقة للإدغام في المعاجم اللغوية أن اللغويين يشيرون إلى أن مفهوم الإدغام اصطلاحًا مأخوذ من معناه اللغوي فهو: يتضمن معنى الإدخال، أي إدخال اللجام في أفواه الدواب، ومنه أخذ إدغام الحروف بعضها ببعض، وهذا ما سنجده في التعريف الاصطلاحي للإدغام.

اصطلاحًا :

عرفه سيبويه - في باب الإدغام بقوله : "الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه ، وقد بينا أمرهما إذ كان من كلمة لا يفترقان ، وإنما نبينهما في الانفصال"[5]، وقال في باب التضعيف : "إعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد ... وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلةٌ، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعةً واحدة، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك"[6].

وزاد ابن جني - ذلك وضوحًا في باب الإدغام الأصغر ، إذ قال : "والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ألا ترى أنك في قطَّعَ ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسانُ عنهما نَبْوَة واحدة وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأوَّل لو لم تَدغمه في الآخر ألا ترى أنك لو تكلَّفت ترك ادِّغام الطاء الأولى لتجشَّمت لها وقفةً تمتاز من شدَّة ممازجتها للثانية بها كقولك قططَع وسككَر وهذا إنما تحكمه المشافهة به فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه (وإدغامه) فيه أشدَّ لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه"[7].

وعند علماء التجويد:

ولم يختلف علماء التجويد عن القدماء في تعريفهم للإدغام سوى اختلاف اللفظ ، قال ابن الجزري : "اللفظ بحرفين حرفاً واحداً مشدداً"[8].

وقد قسم مكي بن أبي طالب القيسي الإدغام على ثلاثة أضرب معتمدًا في ذلك على أساس التقارب المخرجي والاتفاق في صفات القوة والضعف واختلافهما، وهذه الأضرب هي :

1- إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني فيصير بالإدغام زيادة قوة؛ لأنك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني، فإذا فعلت ذلك نُقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة، فذلك حسن جيد ومن هذا الضرب إدغام التاء في الطاء، نحو : چ **ئۇ ئۇ** چ[9] ؛ لأنَّ التاء حرف ضعيف للهمس الذي فيه والطاء حرف قوي للإطباق والجهر والاستعلاء والشدة واللواتي فيها، فهو أقوى من التاء كثيراً فإذا أدغمت التاء نقلتها من ضعف إلى قوة مكررة، فهذا لا تكاد العرب تظهره، وكذلك أجمع القراء على الإدغام في هذا[10].

2- أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين، فيحسن الإدغام إذ لا ينقص الأول من قوته قبل الإدغام.. والذي تتساوى قوة الحرف فيه إدغام الذال في التاء وذلك أن الذال فيها ضعف وقوة، فالضعف من جهة أنها رخوة والقوة من جهة أنها مجهورة، كذلك التاء فيها ضعف وقوة فالضعف من جهة همسها والقوة في كونها شديدة، فقد تقاربا في القوة والضعف من صفاتهما، فإدغام الذال في التاء في نحو: چ **ڤ ڤ** چ[11]علته التقارب المخرجي وتساويهما في القوة.

3- من إدغام المتقاربين ضعيف قليل، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني فيصير بالإدغام أضعف من حاله قبل الإدغام، ومنه إدغام الراء في اللام وهو قبيح لقوة الراء بالجهر والتكرير وضعف اللام لعدم التكرير، فإذا أدغمت نقلت الأقوى إلى الأضعف، وذلك مكروه ضعيف[12].

الإدغام الكبير:

---

(5) الكتاب :437/4 .
(6) المصدر السابق ، 417/4.
(7) الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٣هـ) :140/2.
(8) النشر :313/1
(9) آل عمران ، من الآية ٦٩
(10) ينظر: الكشف135/1-136 .
(11) آل عمران من الآية ١٢٣
(12) ينظر: المصدر السابق 136/1

هو إدغام الحرفين المتماثلين أو المتقاربين بعد تسكين الأول المتحرك وقلبه – في المتقاربين – إلى جنس الحرف الثاني ثم إدخاله فيه، ونطقهما من مخرج الحرف الثاني نحو (جعلَ لك، وذهبَ بزيد، وجعلَ ربَّكَ) وينسب هذا النوع من الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) إذ روي عنه كثرة استعماله الإدغام بمختلف أنواعه طلباً للخفة والسهولة في النطق[13]. والإدغام الكبير أصعب من الإدغام الصغير المألوف؛ لكثرة خطواته ولا سيما في إدغام المتقاربين المتحركين نحو باتَ طالب في بيتِ دريد، فالتاء لا تدغم في الطاء والدال إلا بعد تسكينها وقلبها إلى جنس الحرف المدغم فيه أي الطاء والدال ثم تدغم فيهما[14].

وقد أحصى الباحثون الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء في كتابي (النشر) و (التيسير) فوجدوه (٥٥٦) حالة للإدغام المتقاربين والذي يظهر فيه مدى تأثير الصوت الأقوى في الأضعف، فالأضعف يدغم في الأقوى على مذهب علماء العربية، وهو الأصل القوي في القياس[15].

ونستنتج مما ورد عند علماء اللغة وعلماء التجويد والقراءات ما ذكره عبد الصابور شاهين أن علماء اللغة وعلماء التجويد متفقون على مفهوم الإدغام فقال :" وعلى أية حال فإن بين مفهوم الإدغام لدى كل من النحويين والقراء عموماً وخصوصاً مطلقاً كما يقول المناطقة، فالجميع متفقون على أن الإدغام – يحذف الحركة من الصوت الأول – إن كان متحركاً، ويقلب الصوت الأول من مثل الثاني وهو الأصل .... أو من جنسه في بعض الحالات، ثم ينطق بالصوتين المتماثلين أو المتجانسين من موضع واحد "[16].

علة الإدغام عند أهل اللغة وعلماء التجويد :

اتفق القدامى وعلماء التجويد والمحدثون على أن سبب الإدغام هو السهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم، فضلاً عن النظر إلى الإدغام من حيث هو حركة عضوية لجهاز النطق القصد منها التخفيف ، قال سيبويه : "اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد ... وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلةٌ، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعةً واحدة، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك"[17].

وقال الداني واصفاً سبب الإدغام : "وإنما أدغمت النون والتنوين في هذه الحروف للقرب الذي بينهما وبينهن والتشاكل والمشابهة ، فادغما في الراء واللام لقرب خرجهما من مخرجهما على طرف اللسان ، وقد قيل انهن من مخرج واحد ، وادغما في الميم للمشاركة التي بينهما وبينها في الغنة ، حتى كأنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لنداوة صوتهما ... "[18].

إذن بناءً على الأقوال السابقة يمكن القول بأن سبب الإدغام تقارب مخارج أصوات الإدغام من مخرج النون الساكنة والتنوين ، إذ إن مخرج النون الساكنة من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا[19].

أما مخارج أصوات الإدغام فاللام من حافة اللسان من أدناها إلى مستدق طرفه من بينها وبين ما يحاذيها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية ، ومخرج الراء من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا ، غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان ؛ لانحرافه الى مخرج اللام[20]. ومخرج الميم من بين الشفتين لكنه يشترك مع صوت النون في الصفة وهي الغنة حتى كأنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لنداوة صوتهما[21]، ومخرج صوت النون يشاركه في الصفة والمخرج للتماثل الحاصل بينهما.

أما موافقة هذا العدد لعدد الأحرف التي نزل بها القرآن فقد كان مثار جدال كبير بين أهل العلم، ففي الوقت الذي أيده عدد منهم، رأى آخرون في هذا الفعل إثارة إشكال كبير وإيهام عريض عند عامة الناس بأن القراءات السبع هي عين الأحرف السبعة، ورأوا فيه كذلك إيهاماً آخر بانحصار الصحيح من القراءات في هذه السبع، مع وجود

(13) ينظر: السبعة في القراءات١٥٦، والتيسير ٧٣، ومفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: ١٣١.
(14) ينظر: شرح المفصل131/10.
(15) ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية١٣٢.
(16) أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي : عبد الصبور شاهين : ص ١٢٧.
(17) مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين ، ص ٥٩.
(18) الكتاب،417/4.
(19) التحديد ، ص ١١٢-١١٣.
(20) الكتاب ،405/2 ؛ ومعاني القرآن للاخفش ، 23/1 .
(21) التحديد ، ص ١٠٥ و الموضح ، ص ٨٧ .

قراءات أخرى صحيحة متواترة لا تقل ثبوتا وصحة وقوة عن هذه القراءات السبع[22]، وكان هذا الاعتراض على صنيع ابن مجاهد حافزاً لعدد من علماء القراءات إلى تجنب الاقتصار في التأليف على القراءات السبع، واتجه معظمهم إلى زيادة قارئ أو أكثر على هذا العدد ممن صحت قراءتهم عند المؤلف وتلقاها مشافهة بسند متصل عن شيخه أو عن شيوخه.

"وقد أخذ اسم ابن مجاهد يبرز في الدراسات القرآنية، كما أخذت أسماء سبعة القراء تذكر هنا وهناك في كتب التفسير والقراءات والإعراب، انظر مثلاً: إعراب القرآن للنحاس، والقطع والائتناف له أيضاً، والكشاف للزمخشري ... وهذه المؤلفات لمجرد التمثيل لا للحصر. وحسبي وحسبكم أن تنظروا فهارس كتب القراءات، فسوف نجد رصيدًا ضخمًا منها، هو فيما أرى من عمل ابن مجاهد أو حوله يدور.

وإن كان ابن مجاهد يلحّ في صدر كتابه السبعة (ص ٤٥ وما بعدها) وكتابه في الوقف والابتداء (القطع والائتناف ص ٩) بضرورة علم النحو، ووجوه الإعراب، ومعرفة اللغات لعالم القراءات، إذ كان ذلك، فإن رسوخه في الرواية كان أعمق من تمكنه في العربية، وقد كانت هذه الظاهرة وسيلة لتعقبه من أبي جعفر النحاس وابن جني .. الأول في كتابه القطع والائتناف، والآخر في كتابه المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشواذ والاحتجاج لها"[23].

وقد قال أحد الباحثين بتأثر النحاس بابن مجاهد ورد عليه الدكتور خلف حسين من كلية التربية في جامعة تكريت العراق: في أنه قد تأثر بابن مجاهد في مجال ما، في كتاب (القطع والائتناف) الذي هو من عمل ابن مجاهد أو حوله يدور المراد، وبسبب كثرة تردّد ذكر ابن مجاهد في هذا الكتاب كما يرى، مما جعله يؤكد أن لابن مجاهد ((كتاباً في الوقف والابتداء وذلك في قوله)) وحسبي وحسبكم أن تنظروا فهارس كتب القراءات، فسوف نجد رصيداً ضخماً منها هو فيما أرى من عمل ابن مجاهد أو حوله يدور، وإن كان ابن مجاهد يلحّ في صدر كتابه السبعة (ص ٤٥ وما بعدها) وكتابه في الوقف والابتداء (القطع والائتناف ص ٩٤) بضرورة علم النحو، ووجوه الإعراب، ومعرفة اللغات لعالم القراءات، إذ كان ذلك"[24].

الإدغام عند ابن مجاهد :

يعرض الباحث في هذا الجانب طريقة اختلاف ابن مجاهد في عرضه لظاهرة الإدغام عن علماء اللغة وهي :

فيتبين للقارئ في كتب اللغة وكتب القراءات أنَّ علماء اللغة كانوا يتعاملون مع الإدغام كنظرية صوتية أو نحوية عامة أي (كقواعد ومصطلحات)، أما ابن مجاهد وهو أول من سبع السبعة كما أسلفت فتعامل مع الإدغام كموضوع قرائي محكوم بالنقل والسند: أي بيان مَن قرأ مدغمًا ومَن أظهر، مع أمثلة مُعلَّلة بسند وهو ما تجده في قرائتك لكتابه السبعة في القراءات من إثباته للقراءات ونسبتها إلى قائلها هذا من جانب[25].

شريح في كافيه، والمهدوي في هدايته، وأبو طاهر في عنوانه، وأبو الطيب بن غلبون، وأبو العز القلانسي في إرشادهما، وسبط الخياط في موجزه، ومن تبعهم كابن الكندي وابن زريق، والكمال، والديواني، وغيرهم وذلك كله بحسب ما وصل إليهم مرويًا[26].

إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين:

قال الإمام الداني: (وقد حصلنا جميع ما أدغمه أبو عمرو من الحروف المتحركة فوجدناه على مذهب ابن مجاهد ألف حرف ومائتين وثلاثة وسبعين حرفًا)، وقال: (وعلى ما أقرينا ألف حرف وثلاثمائة حرف وخمسة أحرف)، وقال: وجميع ما وقع الاختلاف فيه بين أهل الأداء اثنان وثلاثون حرفًا وصحّح ابن الجزري العدد بقوله: (قلت: كذا في التيسير وجامع البيان وغيرهما وفيه نظر ظاهر، والصواب أن يقال على مذهب ابن مجاهد ألف حرف ومائتين وسبعة وسبعين حرفًا، لأن الذي أظهره ابن مجاهد ثمانية وعشرون لا اثنان وثلاثون)[27].

---

(22) نقل ابن الجزري نقولاً كثيرة عن عدد من أئمة القراءات الكبار في إثبات وجود أوجه من القراءات الصحيحة تزيد عن القراءات السبع، يمكن الاطلاع عليها في منجد المقرئين: ١٦ و ٧٨ ومواضع أخرى، كما توجد عبارات مماثلة في كتب أخرى عديدة.

(23) أبو بكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية: ص٨٤-٨٥.

(24) ينظر: استدراك وتعقيب على تحقيق كتاب السبعة في القراءات، بحث منشور للدكتور خلف حسين بتاريخ 2006/3/24 .

(25) ينظر: السبعة في القراءات :1/ 113-114 .

(26) ينظر: النشر في القراءات العشر:215/1 .

(27) ينظر: النشر في القراءات العشر:232/1 .

المبحث الثاني
الإدغام عند ابن جني

ابن جني:

أذكر لك بضع كلمات تعريفيه بالإمام ابن جني وهو : "إِمَامُ العَرَبِيَّةِ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بنُ جِنِّي المَوْصِلِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ كَانَ أَبُوْهُ مَمْلُوكاً رُوْمِياً لِسُلَيْمَانَ بنِ فَهْدٍ المَوْصِلِيِّ، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ طَوِيْلَةٌ فِي (تَارِيخ الأُدَبَاء) لِيَاقُوتٍ. لَزِمَ أَبَا عَلِيٍّ الفَارِسِيَّ دَهْراً، وَسَافَرَ مَعَهُ حَتَّى بَرَعَ وَصَنَّفَ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ، وَتَخَرَّجَ بِهِ الكِبَارُ، وأخذ أيضا عن: أحمد بن محمد الموصلي، وأبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم، وروى عن أبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني، وعن أبي حاتم السجستاني، وعن أبي عباس المبرد. وَلَهُ مصنفات منها : (سِرُّ الصِّنَاعَةِ)، وَ(اللُّمَعُ)، وَ(التَّصْرِيفُ)، وَ(التَّلْقِينُ فِي النَّحْوِ)، وَ(التَّعَاقُبُ)، وَ(الخَصَائِصُ)، وَ(المَقْصُور والمَمْدُود)، وَ(مَا يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ)، وَ(إِعرَابُ الحَمَاسَةِ)، وَ(المُحْتَسَبُ فِي الشواذ). تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاثِ مِائَةٍ. وُلِدَ: قَبْلَ الثَّلاثِيْنَ وَثَلاثِ مِائَةٍ، وَكَانَ أَعورَ"[28].

الإدغام:

ذكر ابن جني " أنَّ الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت"[29]، وإنه على ضربين: أصغر وأكبر فهو أول من قسم الإدغام إلى هذني القسمين من علماء اللغة وإليك تعريفه للقسمين اللذان ذكرهما :

الإدغام الأصغر:

(فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك)[30].

وهذا النوع من الإدغام على قسمين :

الأول:

يتمثل في بعض اللهجات العربية دون بعض كالإمالة مثل عالم[31]، وإبدال تاء الافتعال حرفاً يجانس الفاء في مثل: اذَّكَّر واسَّمَع[32]، وتقريب السين من الحرف المستعلي إذا وقعت قبله بقلبها صاداً، كقولهم في سقت وصقت[33]، وكتقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شعير ورغيف[34]، وكالإتباع في قولهم الحمدُ للهِ والحمدِ للهِ[35]، وكقلب الصاد زاياً لأجل الدال في قولهم مزدر في مصدر[36] وكالإشمام في قولهم مررت بمذعور وابن بور[37].

والثاني:

يتمثل في لغة العرب عامة وهو عدة أضرب:

1- الإبدال في تاء الافتعال من غير إدغام نحو اصطبر وازدان[38].

2- الإبدال في تاء الافتعال ثم الإدغام التقاطاً من غير قصد نحو اطرد وادعى[39].

3- الإبدال في تاء الافتعال ثم قلب الفاء حرفاً يجانس الحرف الذي قلب عن تاء الافتعال نحو ادكر[40].

4- قلب السين تاء في قولهم في العدد ست وأصلها سدس.

---

(28) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/١٧-١٩.
(29) الخصائص:139/2 .
(30) الخصائص : 141/2 .
(31) سير أعلام النبلاء:141/2.
(32) المصدر نفسه
(33) المصدر نفسه
(34) الخصائص :139/2.
(35) المصدر السابق :143/2.
(36) المصدر نفسه.
(37) المصدر نفسه.
(38) المصدر السابق :141/2.
(39) المصدر نفسه.
(40) الخصائص : 142/2 .

ويرى الدكتور حسام النعيمي أنَّ الأولى دراسة هذا كله في الإبدال، حيث يقول: "وهذا كله بحثه في الإبدال أولى من بحثه في الإدغام كما أرى لأنَّ حقيقة الأمر أنك أبدلت حرفاً من حرف وإن كانت العلة تقريب الصوت من الصوت، لذا رأيت أن أبحث هذه الجزئيات مما أطلق عليه الإدغام الأصغر في باب الإبدال"[41].

الإدغام الأكبر:

أما الإدغام الأكبر فهو حقيقة، وإذا أطلق لفظ الإدغام كان هو المراد دون الأصغر. وهو على ضربين:

الأول:

(أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر)[42]. وذكر أن الحرف في المثلين أما أن يكون ساكناً في الأصل كالطاء الأولى من قطَّع والكاف من سكَّر، وأما أن يكون متحركاً في الأصل ولكنه يسكن لأجل الإدغام نحو الدال من شدَّ واللام من معتلَّ، وذلك أن شدَّ أصلها شدد لأنها من باب نصر، ومعتلَّ مفتعل من العلة وأصلها معتلل[43].

الثاني:

(أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه)[44]. ومثل ذلك كلمة ودَّ في اللهجة التميمية. وأصلها وتد سكنت التاء، كما سكنت اللام في نحو علم، ثم قلبت دالاً وأدغمت في الدال. وقد مرَّ ذلك في اللهجات ومنه أيضاً امحى وامأَز، واصبر واتَّاقل عنه[45].

وقد ذكر ابن جني أنَّ العرب حين أدغموا (إنما فعلوا ذلك كراهة اجتماع مثلين متحركين)[46] وإنَّ المعنى الجامع للإدغام إنما هو تقريب الصوت من الصوت، وعبَّر عن نطق الحرفين المدغمين بإخفاء الأول في الثاني (حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة)[47]. وقد جعل بعض علماء اللغة (فندريس) هذه النبوة الواحدة بالصوت ممثلة لحرف واحد طويل، فالحرف الصامت المضعف، أو الساكن المضعف كما عبر عنه ليس سوى حرف واحد طويل ينطق بقوة أشد من مما في حالة القصير فإنَّ (مجموعة مثل: (atta) أتَّا، تتميز عن المجموعة: (ata) أتا بوجود مسافة بين الحبس والانفجار يمكن للأذن أن تقدرها، ومن الخطأ أن يقال بأنه يوجد ساكنان في (atta) أتَّا وساكن واحد في (ata) أتا، فالعناصر المحصورة فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة: عنصر انحباسي يتبعه عنصر انفجاري، ولكن بينما نجد العنصر الانحباسي في (ata) يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة نجده في (atta) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق)[48]. وأشار كانتينو إلى فكرة الإطالة في المشدد بقوله: (إنَّ التشديد لا يغير من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل مداها فقط)[49] ، وهي عبارة قد يفهم منها بأنه يوافق فندريس، إلا إنَّ الذي يجعلنا نتردد في المقطع قوله في موضع سابق: (الحروف المضعفة وهي التي يمتد النطق بها فيضاهي مداها مدى حرفين بسيطين تقريباً)[50]. [51]

وقد تنبه ابن جني إلى مثل ما ذكر فندريس ولكنه كان أكثر دقة وعناية حين قال: (وذلك إن الإدغام أنبى اللسان عن المثلين نبوة واحدة فصارا لذلك كالحرف الواحد)[52]. فهما إذن بهذه النبوة الواحدة كالحرف الواحد ولكنهما ليسا حرفاً واحداً.

ويرجح الدكتور حسام النعيمي قول ابن جني قائلاً: "والرأي عندي ما قاله ابن جني من أن اللسان قد نبا عن حرفين نبوة واحدة ولكنهما بسبب النبوة الواحدة صارا كالحرف الواحد. ويبدو أن فندريس يطلب لإثبات الصامتين في أتّا أن يكون عندنا عنصر انحباسي ثم انفجاري يتبعه عنصر انحباسي آخر ثم انفجاري، إذا التاء تكون من انحباس

(41) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، للدكتور حسام سعيد النعيمي: ٣٤٠.
(42) الخصائص: 140/2 .
(43) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٤١.
(44) الخصائص: 140/2 .
(45) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٤١.
(46) المنصف:90/1 .
(47) الخصائص: 140/2 .
(48) اللغة: ص٤٩.
(49) دروس في علم أصوات العربية: ص٣٩.
(50) المصدر نفسه: ص٢٥.
(51) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٤٢.
(52) الخصائص: 496/2 .

الهواء ثم انفجاره فما دمنا ندعي وجود تاءين فعلينا أن نثبت وجود صامتين أو ساكنين في كلٍ منهما عنصر الانحباس والانفجار، والجواب على ذلك أننا نرى أن الصامت سواء كان انفجارياً أم احتكاكياً إذا طال الوقوف عليه وأتبع بصائت طويل أو قصير نتج منه صامتان من النوع نفسه، ومهما أطلت الوقوف فلن يكون ثلاثة صوامت، أما الصائت الطويل الذي هو حركة مشبعة فكأنه حركتان أو صائتان قصيران اجتمعا فإنك مهما أطلت الوقوف عليه فلن يكون إلا صائتاً طويلاً واحداً، وقد نقل ابن جني أن رجلاً زعم أنه يستطيع أن ينطق بألفين مرة واحدة أمام أبي إسحاق، ومدّ صوته بالألف وطوله فقال أبو إسحاق للرجل: (لو مددتها للعصر ما كانت إلا ألفاً واحدة)[53] "[54].

ونخلص مما سبق إن تصور سيبويه وابن جني للإدغام كان أوسع وأعم من تصور بعض النحاة واللغويين كابن يعيش وغيره من علماء اللغة، حيث وضعوا تعريفاً للإدغام، فلم يلحظوا دقة عبارة سيبويه وما يريده بتقريب الصوت من الصوت، فهم قد تصوروا الإدغام في إطار الأصوات الصامتة، وعلى الصورة التي نتج عنها صوت مضعف، سواء من المثلين، أم المتقاربين، فأما هو فقد استخدم كلمة الإدغام يريد بها التعبير عن مطلق تأثير صوت بصوت، سواء أكان صامتاً، أم متحركاً، وسواء كان التأثير كاملاً يترتب عليه فناء الصوت المتأثر أم كان جزئياً، يفقد معه عنصراً من عناصره.

الخاتمة

1- القاعدة الصوتية والنحوية أوسع من القراءة؛ لأن الأخيرة محكومة بالنقل والرواية.

2- لقد سبق ابن جني المحدثين أمثال (فندريس) ولم يضف الأخير شيئاً على ما قاله ابن جني.

3- إنَّ الإدغام الأصغر عند ابن جني يتمثل في بعض اللهجات العربية دون بعض.

4- يرى ابن جني أن العرب حين أدغموا إنما فعلوا ذلك كراهة اجتماع مثلين متحركين.

5- لم يصل إلينا أي كتاب من الكتب الجامعة المؤلفة في القراءات قبل ابن مجاهد، مثل: كتاب أبي عبيد، وكتاب أبي حاتم السجستاني، وكتاب ابن قتيبة، وكتاب إسماعيل القاضي، وكتاب أبي جعفر الطبري، وهذه الكتب مهمة من ناحية المادة العلمية فيها، ومن ناحية توضيح تطور دراسة القراءات وروايتها في القرون الثلاثة الأولى.

6- اتبع ابن مجاهد منهجاً مغايراً في تأليفه كتابه (السبعة) فقد اقتصر فيه على ذكر سبع من القراءات القرآنية، هي أصح القراءات في الأمصار الخمسة، وأكثرها شهرة، وألف كتابه الآخر في ذكر شواذ السبعة، وأسس بذلك لمنهج جديد في دراسة القراءات، بتقسيمها إلى صحيحة، وهي السبع، وأضاف إليها العلماء بعد ابن مجاهد ثلاث قراءات ألحقت بها، وإلى شاذة وهي ما عدا السبع أو العشر.

7- لم يقتصر ابن مجاهد على القراءات فقط، وإنما تعداها للعناية بعلوم القرآن الكريم عامة، والقراءات خاصة، فألف فيها كتابه الذي وصف بأنه جليل القدر عظيم الخطر.

8- لم يذكر ابن مجاهد الإدغام الكبير في كتابه السبعة؛ لأنَّه تعامل مع الإدغام كموضوع قرائي محكوم بالنقل والسند.

9- اختلف علماء التجويد والقراءات ومنهم ابن مجاهد عن علماء اللغة بإدغام المثلين إذا كان أول المثلين هاء سكت فالقراءة بالإدغام تكون بالوصل بين المثلين كما نسبها إلى بعض من قرأ بالوصل ، أما القراءة بالإظهار فتكون بالوقف عليها.

10- إنَّ الإختلاف بين عالم اللغة ابن جني وعالم القراءات ابن مجاهد في ذكر ظاهرة الإدغام أنَّ علماء اللغة كانوا يتعاملون مع الإدغام كنظرية صوتية أو نحوية عامة أي (كقواعد ومصطلحات)، أما ابن مجاهد

(53) المصدر السابق :493/2 .

(54) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٤٢-٣٤٣.

وهو أول من سبع السبعة فتعامل مع الإدغام كموضوع قرائي محكوم بالنقل والسند: أي بيان مَن قرأ مدغمًا ومَن أظهر.

11- نجد عند ابن مجاهد أن التركيز على التواتر والقبول القرائي: علماء اللغة قد يبيّنوا مشروعية الإدغام صوتيًا، لكن ابن مجاهد يجعل معيار القبول قرائيًا (هل وُجدت قراءة متواترة أم لا) .

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

1. أبو بكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية: لد. عبد الفتاح شلبي، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الخامس السنة الخامسة ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ.
2. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: عبد الصبور شاهين ، ط١ ، مطبعة الخانجي - القاهرة - مصر ، ١٩٨٨م .
3. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ)، تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
4. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
5. الخصائص، لابن جني، تح محمد علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
6. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، للدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
7. السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، تح شوقي ضيف، دار المعارف-مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
8. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
9. الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبي بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط ٣ ، ١٤١٠ هـ .
10. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ط) .
11. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
12. اللغة، لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، طبعة مصر، ١٩٥٠م.
13. مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين : لناصر الدين محمد بن سالم المصري الناصر الطبلاوي : (ت ٩٦٦هـ) تح : د محيي هلال السرحان ، بغداد العراق ، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
14. معاني القرآن: لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
15. مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، لمحمد يحيى سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.

16. المنصف، لابن جني، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، (د.ط)، ١٩٥٤م.

17. الموضح في وجوه القراءات وعللها: لنصر بن علي بن أبي مريم (ت: بعد ٥٦٥ هـ) الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

18. النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى ،تصوير دار الكتاب العلمية ، (د.ت)